صورة الشرقي في مسرحيتي (جان دارك) و(المليونيرة) لـ "برنارد شو"

L'image de l'oriental dans les deux pièces de théâtre (jeanne D'arc) et (la milliardaire) de Bernard Shaw

د. فطيمة بن ربيعي‡

تاريخ الاستلام:26-12-2018 تاريخ القبـول:10-06-2021

ملخّص: يطرح موضوع صورة الشرقي في الآداب الأوروبية خاصة والآداب العالمية عامة، أهمية بالغة؛ لما له من أثر في توضيح علاقة الآداب الغربية بالثقافة الشرقية، وما يصاحبها من كشف لخلفية الصلة بين الحضارتين الغربية والشرقية، تلك الصلة التي أضحت مادة دسمة للدراسات المعرفية المختلفة (فكرية وثقافية ونقدية)، خاصة بعد ما عرفته العلاقة بين القطبين من توتر وتأزم بفعل العوامل السياسية والتاريخية، فكثيرا ما شابها الصدام والشقاق والتنافس، ليتسلل ذاك الصراع إلى الأعمال الأدبية التي روجت له، وعززت فكرة التصادم بين الشرقي والغربي، ما زاد من تعميق الهوة في حاضر علاقتهما ومستقبلها.

ونحن في هذا المقال سنعرض لصورة الشرقي المسلم عند واحد من الأسماء الأدبية الشهيرة، التي عرفت بموقفها المتميز من الحضارة الشرقية والإسلام بشكل خاص، إنه "برنارد شو" الإيرلندي، من خلال الوقوف على اثنين من مسرحياته) جان دارك (Jean Darc و)المليونيرة The Millionairess)واللتين تحضر فيهما تيمات صريحة عن الشرق ومعتقده ومبادئه، لكنها تيمات مخالفة لما حملته الكثير من الأعمال الغربية المعادية للشرقي وحضارته، طارحة نظرة جديدة جريئة جرأة صاحبها نفسه.

الكلمات المفتاحية: صورة، الآخر، الشرقي، الشرق، الغرب، الإسلام، النمطية، الكليشيهات برنارد شو، جان دارك، المليونيرة، المسرح، الأدب.

Abstract : Le thème de l'Image de l'Oriental dans la littérature européenne en particulier, et dans la littérature mondiale en général, revêt une grande importance car il permet de clarifier la relation entre les littératures occidentales et la culture orientale, tout en dévoilant les secrets qui accompagnent la relation entre les civilisations occidentale et orientale. Une relation devenue, pourtant, un matériau riche pour diverses études cognitives (intellectuelles, culturelles et critiques), vu les tensions et les crises qu'ont connu ces deux

‡جامعة يحيى فارس، المدية (الجزائر)، البريد الإلكتروني: benrebaif@gmail.com (المؤلّف المرسل)

pôles à cause de facteurs politiques et historiques. En effet, ces conflits, ces discordes et concurrence ont laissé place à la création littéraire qui a promu le conflit et renforcé l'idée de la collision entre l'Oriental et l'Occidental, creusant davantage le fossé de leurs rapports présents et futurs. Dans cet article, nous étalerons notre thématique, en l'occurrence "L'image de l'Oriental musulman", inscrite par l'un des grands noms littéraires connus pour sa position spécifique vis-à-vis de la civilisation orientale, et de l'Islam en particulier : c'est l'Irlandais Bernard SHAW ; et ce, à travers deux de ses pièces théâtrales (Jeanne D'Arc) Et (La Milliardaire). A l'opposé de nombreuses productions occidentales hostiles à l'égard de l'Oriental et de sa civilisation, ces deux textes qui, explicitement mais avec beaucoup de sincérité, mettent en relief les croyances et les principes de l'Orient : une vision nouvelle, faisant preuve de beaucoup de courge, à l'image de son détenteur, nous précisons, Bernard SHAW.

Mots-clés : Image, l'Autre, l'Oriental, l'Orient, l'Occident, l'Islam, stéréotype, cliché, Bernard SHAW, Jeanne D'Arc, La Milliardaire, théâtre, littérature.

المقدّمة: انعكست للشرق صور متوارثة في الآداب الأوروبية، كانت وليدة الصراع بين الغرب والشرق، ذلك الصراع الذي صنعته وقائع التاريخ وغذته السياسات والإيديولوجيات فالغرب كان وما يزال ينظر إلى الشرق بعين الحذر، فالشعور بالعظمة والتفوق الحضاري قاد الغرب إلى فكرة نمطية شكلت الأرضية المناسبة لظهور أفكار تركز على التصادم بوصفه الوجه الرئيس لشكل العلاقة التي تربط الطرفين بسبب اختلاف في الأسس الحضارية (الهوية الدين، الأفكار، الثقافة...) ما يقتضي ردا وصدا وتدميرا بينهما، فـ « مفهومي الغرب والشرق استُخدما ووُظفا في سياقات غامضة، وساهم هذا الاستخدام في إنتاج صور نمطية stéréotype ملتبسة عن الغرب وعن الشرق. فقد تحول كل من الغرب والشرق إلى مفهوم متمثل أو تمثيلي... حيث

نسجت مكوناته ومركباته وفق أشكال متخيلة ونمطية تستلهم كل إمكانيات التهميش والإلغاء... »، مثل ذلك ما نجده منتشرا من تصوير الصراع القائم بين الغرب (المتحرك المتجدد المبدع والحر) والشرق (الراكد المتخلف المتعصب الاستبدادي) من هنا قامت تلك الصورة النمطية للشرق ورسخت ممثلة في صورة الدين الإسلامي الذي يدين به الشرق، وفي صورة الشرقي كفرد معتنق لمبادئه وتعاليمه، عاكس من خلالها نظرته إلى الحضارة الشرقية، وهو ما كان منتشرا في آداب العصور الوسطى (المسرح الديني والملاحم) التي كانت تشن حملة شرسة على الشرق المسلم والمسلمين بألوان من التحامل والأفكار المسبقة والتصورات المشوهة التي تنم عن موقف سلبي من الآخر، نذكر مثالا على ذلك (أغنية رولان La Chanson de Roland) ، التي أظهرت المسلمين بصورة وثنيين لا أخلاق لهم، سرعان ما ينهزمون أمام أبطال المسيحية ويرتدّون عن دينهم. وغيرها من الأعمال التي تحمل الكثير من الافتراءات والزيف، من قبيل ما ورد في ملحمة (الكوميديا الإلهيةLa Divina Commedia) للإيطالي "دانتـي أليغيري Dante Alighieri " حيث راح الأديب يحشد صورا غاية في السلبية لشحن العداء على الإسلام ومعتقداته ومؤسساته ورجاله، وهو – في ذلك– يقتفي طريق أجداده المتآلبين على دين الإسلام الذين « قد أخفوا الجوانب التي تغطي معظم المساحة، وهي مساحة الإشراق والعظمة في تاريخنا الإسلامي أفرادا وحكومات وطبقات منسجمة متوازنة ومتكاملة... ثم راحوا يلتمسون الثغرات – من وجهة نظرهم– في شخصيات الصحابة والتابعين والدول الإسلامية المتلاحقة » هكذا كانت حربا « ضد الإسلام، حيث لا يعتبر المسلمون كفارا، بل كفارا كثيرين، بل يعتبرون العدو الأساسي للمسيحية » ، فكل ما ينضوي تحت لواء الإسلام يدرج في خانة المرفوض المنبوذ لأنه ضمن زمرة الكفر، فلا وجود ولا إمكانية لفتح الحوار بين الأنا المسيحية والآخر المسلم لاستحالة التواصل الديني بين الطرفين. لتعزز تلك الصورة المدونات الرحلية والأدبية الحديثة التي لم تزل تقفو معالم المؤسسة الاستشراقية، وتسير على خطى روادها الذين لم يتحروا الموضوعية البحتة في دراساتهم وفق خطة مسبقة، فالاستشراق

لم يكن عملا علميا محضا بل إن المراد منه هو الرد على الإسلام، والتبشير بالنصرانية بين المسلمين.

لقد بنيت صورة المعتقد الإسلامي على مقولات سلبية تدّعي وثنيته، هيمنته، عنفه وقسوته، بينما تعزز صفة الإيمان، الحرية، السلم واللين التي يوصف بها معتقد الأنا (دين المسيح) المنفتح الرافض لمعتقد الآخر لأنه (دين محمد) المنغلق، فقد أصبح الشرق « أنثروبولوجيّا وإثنولوجيّا مجردا من قيمه وتاريخه، وظهر وفق توصيفاته، الشرقي : العربي والتركي والفارسي، صورةً للفارسي الشهواني، أو صورة البربري الفظ، خاصة الشمال أفريقي يجمع بين هذه الصور دين بسيط وبدائي ومتعصب وعدواني هو الإسلام فقد... خضع الإسلام إلى تاريخ شرقنة أوروبية » ، حيث بات حاويا للشرق بكل تيماته الاستيهامية مجسدا في أنماط جاهزة متخيّلة أكثر منها واقعية.

بقيت تلك هي ملامح التلفيق والتشويه السائدة في الآداب الغربية الحديثة المستحضرة للشرق في فكرها وكتاباتها، من مثل كتابات "شاتوبريان Chateaubriand" (رحلة من باريس إلى القدس Intinéraire de Paris a Jérusalem) التي يظهر فيها أسير النظرة المسبقة للشرق وحضارته ودينه، ومن ذلك مسرحية (النبي محمد) أو (التعصب Le Fanatisme) لـ"فولتير Voltaire" المعروف باستهتاره بالديانات ، فهو مهتم بالإسلام كدين يمكن الهزء منه وإبراز ما يدعي أنه خرافات فيه وتضليل، وغيرها من المؤلفات التي جسدت آثار ذلك الاحتكاك مع الشرق أو احتكاك الشرق بالغرب إثر الهجرات والرحلات والتي حرصت على إظهار الشرقي في صورة الضعيف المنبهر بالحضارة الغربية وماديتها المشتت بين مغرياتها، فسرعان ما نجده ينغمس في ملهياتها، بل يذوب فيها تاركا عند حدود بلده الأصلي لغته، أدبه، أخلاقه، تاريخه، وهويته، وتغريه ملذاتها التي حرم منها في بلده الأصلي تحت تزمت العادات والتقاليد والدين، من مثل ما يصوره الروائي الفرنسي "ميشيل تورنيي M. Tournier" في رواية (قطرة الذهب

La goute d’or)، وغيرها من النصوص التي تشوه الشرقي وحضارته، ثم إن ما حملته تلك الآداب كان في صورة (رهاب phobie) الذي يعكس نظرة سلبية تشاؤمية نحو الثقافة الأجنبية، في مقابل نظرة إيجابية نحو الثقافة القومية تنم عن الإعجاب بالذات والانبهار بها ، ففي حين يبرز الثقافة المحلية والقومية ثقافة رائدة ومتفوقة حضاريا يعمل على الحط من الثقافة الأجنبية ويظهرها منهزمة حضاريا.

لكننا نجد من تلك الآداب ما سجل موقفا تآلفا متسامحا « ينظر إلى الواقع الأجنبي، ويحكم عليه بصورة إيجابية، ويدرج ضمن الثقافة الناظرة التي تعد هي بدورها إيجابية ومكملة للثقافة المنظور إليها»، عاكسا نظرة صاحبها المتميزة تجاه الحضارة الشرقية باعتبارها واحدة من الحضارات الإنسانية التي يمكن التواصل معها؛ بل والتكامل فيما بينها، من مثل مؤلفات الأديب المسرحي الأيرلندي "جورج برنارد شو". وهذا ما نحاول الوقوف عليه في هذا المقال الذي يعالج صورة الشرقي في اثنين من مسرحياته (جان دارك Jean Darc) و(المليونيرة The Millionairess).

صورة الشرقي في مسرح "شو":

يحضر الشرقي المسلم في مسرح "شو" إن بشكل واضح أو على شكل ومضات وإشارات هنا وهناك، وكأن حضوره يداعب فكره ويَلزَمه، وهذا ليس بالغريب عنه؛ فالشرق يمثل الفضاء الذي نمت فيه الأفكار التي راقته يوما، وشغلت باله ووجدانه في سلسلة بحثه عن الدين الذي يصلح للمجتمعات الحديثة والإنسانية عامة، وهو المفكر والناقد الاجتماعي الذي جعل بالغ اهتمامه السبيل إلى إصلاح المجتمعات الإنسانية، والانشغال بالبحث في شؤون الطبقات العامة في إنجلترا، وكيفية الوصول إلى مجتمع أساسه المساواة والحرية الفردية.

ولكن أي ديانة من الأديان رأى أنها تستطيع بتعاليمه وقواعده أن تستوعب نظرته الاستشرافية لمجتمع سليم؟

أما بالنسبة للدين، فقد كان له معه شأن آخر، فقد ولد "شو" في أسرة بروتستانتية لكن علاقة والديه مع الدين لم تكن متينة، فعلى الرغم من أن أمه كانت تعيش في بدء حياتها مع عمة لها، حريصة على أن تغذيها بمبادئ الدين المسيحي، إلا أنها لم تعن بأن تربي ابنها على ما تعلمته، بل إنها فضلت أن تنشئه على حب الموسيقى، لأنها كانت تحسب ذلك أجدى له، وأنفع. أما أبوه، فلم يكن يهتم بالدين بالقدر الذي يهتم فيه بالخمرة والإدمان عليها. كما كان له خال يعلن عداءه الدائم للدين، إضافة إلى أن الأوضاع الأيرلندية الدينية كانت لا تزال مضطربة، ومنقسمة انقساما دينيا عنيفا بين المذهب الكاثوليكي، والمذهب البروتستانتي. كان كل جانب يرى بأن الآخر ملحد أو كافر، إضافة إلى مظاهر تلك التفرقة في الحياة الاجتماعية، خاصة المدرسية التي لا تتوانى في إظهار ذلك.

أمام هذه الأوضاع المضطربة، وعدم الاستقرار الديني في كل النواحي المحيطة بـ"شو" كان يرى بأن « في دبلن تظاهرًا بالدين، ولم يكن هناك دين، ولم يكد يبلغ الحلم حتى وقع في المحنة التي يقع فيها الشباب من أمثاله، لقد فكّر مليّا في الدين الذي اعتنقه أسلافه وتدبّر الأمور التي يثبتها هذا الدين، والعقائد التي يفرضها على المؤمنين به... لقد رأى أن القوم يعتنقونها من أجل الحاجة، وأنهم يعتنقونها من أجل اضطهاد بعضهم بعضا، ثم رأى أنها تتنافى وما ينطوي عليه ضميره. لذلك هجر الكنيسة وعزف عن أنواع الطقوس التي تقام بها». وإذا عدنا إلى حياة "شو" في دبلن، حيث « كان الإنجيل من بعض ما قرأه وهو يافع وتأثر بآيات الإنجيل تأثرا بالغا، ولعلها هي التي كوّنت ذلك الشعور الديني العميق في قرارة وجدانه، ولكنه كره المسيحية لأنها محوطة بطقوس وتقاليد تتنافى والروح والدين نفسه » فهو يؤمن من الدين بما كان نابعا من صميم الوجدان والفؤاد، وما كان مظهراً ومعنى سلوكا وقولا، وكان قد كره الكنائس منذ صغره، حتى إنه يدعوها (بيت الشيطان)، لأن الأطفال يجبرون فيها بتصرفات لا يحبونها ولا يفقهون حتى معناها، لذا كان هجرانها هو أول عمل قام به حين ملك حريته، ليبدأ رحلة جديدة في طريق البحث عن استقرار ذاته وعن الدين الذي يمكن أن يجد فيه راحته،

ف « قد مر بما مر به المفكرون من الشك والضلال، ثم ما لبث أن استقر على عقيدة أخرى إن لم تكن دينا فقد جعلها هو دينا». فمظاهر التدين والطقوس المصاحبة له، هي ما كان ينكره "شو"، وكل ما ينطوي تحتها بهدف التسلط على الغير.

لكن لا بد – هنا–من الإشارة إلى الدين الذي جذب "شو"، حتى وإن لم يكن اعتناقا فإعجابا به وبمبادئه التي أرضت حاجاته الروحية والفكرية، إنها أفكار واحد من المعتقدات الشرقية التي عرج عليها، وهو (الدين الإسلامي)، وكانت آراؤه بخصوصه واضحة جلية، فقد كان موقفه بارزا ولا يزال يستحضر إلى يومنا، وهو القائل: «لما قرأت دين محمد أحسست أنه دين عظيم».

هذا ما يقودنا للإشارة إلى فكرة متميزة، تتعلق بأفكاره الصريحة حول شخصية النبي "محمد" (صلى الله عليه وسلم) وإعجابه به؛ حيث يقول: «قرأت حياة رسول الإسلام جيدا، مرات ومرات، ولم أجد فيها إلا الخلق كما يجب أن يكون» فهو يرى فيها النموذج الكامل والمثال الأسمى، فقد «كان المثلُ الأعلى للشخصية الدينية عند برنارد "شو"، في شخصية النبي العربي، فهو يتمثل في هذه الشخصية تلك الحماسة الدينية وذلك الجهاد في سبيل التحرر من السلطة. وهو يرى أن خير ما في حياة النبي أنه لم يدَّع سلطة دينية لِيُسخِّرها لمأرب دنيوي، ولم يحاول أن يحول بين المؤمن وربه، ولم يفرض على المسلمين أن يتخذوه وسيلة لله تعالى، لذلك لم يخلق في تاريخ الإسلام تلك السلطة التي ادَّعتها الكنيسة في تاريخ الكنيسة » فقد بلغ إعجابه به إلى أنه أراد عام 1913م أن يكتب عنه مسرحية، ولكن الحكومة البريطانية منعته من ذلك لسبب سياسي، لأن هذا الأمر سيثير ثائرة السفير التركي حيث إن الدين الإسلامي يحرم تمثيل شخصية النبي على المسرح، كما أنه سيثير عليها رعاياها المسلمين. هكذا ترك "شو" فكرة هذه المسرحية، لكنه بقي يبث أراءه عنه في مسرحياته، مثل مسرحية (القديسة جان)، ومسرحية (العودة إلى متوشالح Methuselah Back to)، ولا ينسى قارئ "شو"، مسرحيته الشهيرة (جان دارك) هذه الفتاة التي اتخذت المسرحية اسمها، والتي دفعت

حياتها من أجل إيمانها الذي اختلف عن إيمان الآخرين... فحين حققت ما كانت تصبو إليه (تحرير فرنسا وهزيمة أعدائها) نظرت حولها لتجد أخلص الناس يتخلّون عنها ويخونونها ويُدّبرون لها المؤامرات. وهذه المسرحية فيها إشارات كثيرة للمواقف التي يتعرض لها صادِقو الإيمان ولشخصية النبي "عليه الصلاة والسلام".

يحضر ذكر النبي العربي (محمد) في أكثر من مقطع من المسرحية، وإن لم يكن حضوره مجسدا في شخصيته فقد حضر بمواقفه وأخباره، التي توافق في كثير منها مواقف بطلة المسرحية القديسة "جان دارك". وإذا تفحصنا المقاطع الإيمانية التي أوردها "شو" في المسرحية، وجدناه يركز فيها على جمع الآراء المتناقضة، ومحاولة فهم ما تدعو إليه الفتاة فنداءاتها إيمانية عميقة تجعل المؤمن وغير المؤمن يشعر بتأثيرها الروحي، ومن تلك الآراء

«إن بها شيئا خفيا، سرا لا يُكْتَنَهُ، لعلنا إن جربناه حمدنا عقباه» – «أما هي فتبث فينا الشجاعة والثقة» – «إن كلماتها وحرارة إيمانها أوقدت في القلب نارا» – «... إن رسالتها من الله حقا».

حتى أن المطران نفسه يصرح قائلا: «إن في شدة إيمان هذه الفتاة لزجرا لكل ما بدا فيكم من خفة وطيش».

إن هذه الآراء تعبر عن تعجّب من قوة تأثيرها وثبات إيمانها، ما جعل حتى رجال الدين المسيحي يقرون بصدق ما تزعم، كما يورد "شو" –بأسلوبه المؤثر–عبارات "جان" التي توضح طريقها في الإيمان، من مثل قولها للسيد "روبير Robert":

«لا تفكر يا سيدي في واجبك لرب الإقطاع وإنما فكر في واجبك لرب السماء».

ولـ"شارل Charl":

– «فاعلم أننا هنا لإنفاذ أمر الله لا أمرنا، وعندي من الله رسالة إليك... فاعلم أن الأرض لك لتحكمها بالعدل لتحفظ فيه سلام الله... اعلم أني جئتك من عند الله لآمرك بالركوع في كتدرائية الله، وأن تعلن فيها في خشوع أنك تخرج عن ملكك لله إلى أبد الآبدين...

كما تردد في شجاعة:

«... أنا أجرؤ، ثم أجرؤ، ثم أجرؤ، في سبيل الله... جئت بمدد لم يجئ مثله لقائد أو بلد أبدا... مدد من الله رب السماوات والأرض».

فإيمان الفتاة "جان" القوي يهبها الثبات والعزم للوقوف في وجه الأعداء والمنافقين من رجال الكنيسة المتآمرين ضد مصلحة البلاد، كما لم يثبت قادة الجيش الأقوياء ضعيفو الإيمان وفي هذا خطر على مصالح الطرفين جيشا وكنيسة/ دولة ودينا، يقول "كوشون"

– «... فماذا يكون حال هذه الدنيا إذا ألقي بكل هذا التراث في المزارب والمزابل، كلما قام عامل أجير جاهل، أو قامت فلاحة حلابة بقر نفخها الشيطان بالغرور الفادح فألهمها أنها يوحى إليها من السماء ؟... كيف يكون الحال إذا خالت كل فتاة أنها (جان دارك) وخال كل رجل أنه (محمد) ؟ إنها حال تفزعني فزعا لا فزع فوقه، حال حاربت كل حياتي لاتقائها وسأحارب لاتقائها ما بقي من أيامي...».

يستحضر "شو" صورة مماثلة لموقف الكنيسة من النبي محمد "صلى الله عليه وسلم" ودعوته، وذلك من خلال موقف "كوشون" الذي يصف "جان" وخطرها على المسيحية الذي يماثله الخطر الذي كان يهددها من قبل النبي العربي (محمد)، فهو يصور محاولات "جان" الثائرة خطرا كبيرا يهدد التراث الكنائسي، وما تدعي أنه وحي إلهي مجرد إغراء من الشيطان وهو مستعد لمحاربتها ومنعها من الاستمرار في دعواها، لأن ما تصبو إليه من قبيل ما كان يدعو إليه رسول الإسلام، وهو ما كان يعمل على محاربته طوال حياته وسيستمر في محاربته.

وهذا ما جعله يورد الرأي المناقض على لسان النبيل الإنجليزي "ورك" الذي خبر في الواقع أشياء مناقضة، حيث يقول:

أنا رجل حرب لا رجل دين، وقد حججت إلى بيت الله المقدس، ورأيت بعضا من أتباع محمد، فلم أجدهم من سوء الأدب بالمكانة التي أفهمونيها قبلا، بل وجدت لهم أدبا لا يقل من بعض الوجوه عن أدبنا.

لقد وجد "ورك" المسلمين على العكس مما كان راسخا في فكر "كوشون": متسامحين محبين متقبلين للمسيحيين، يتضح ذلك من قوله:

إنك ما كنت لتقول هذا لو أنك شهدتنا نتجادل في الدين يا مولاي، وإنه ليعروني الأسف أن تظن بي الزندقة أو الغباوة، لا لسبب سوى أنني طوفت في البلدان، فعرفت فيما عرفت أن أتباع محمد يحترمون المسيح احتراما ظاهرا شديدا، وأنهم في تسامحهم أقرب أن يغفروا لبطرس القديس أنه كان سماكا، من أن تغفر أنت يا مولاي لمحمد أنه كان جمالا، أكثير يا سيدي أن أطلب منك أن تأخذ على الأقل ما نحن فيه الآن من غير تعصب وضيق ذهن.

فهو يصرح بحقيقة حرِجة قد تكون مؤشر خلاف بين الرجلين المتحالفين ضد "جان"؛ فقد عاين الشرقيين من أتباع النبي "محمد" وخبرهم ووجد فيهم عكس ما كان منتشرا ومطروحا كما أنه يصف القس بالتعصب وتحجر الفكر بسبب تصريحاته ضد المسلمين ونبيهم، والتي تمثل تعصب الكنيسة للمسيحية وإعلانها العداء لما سواها من العقائد؛ فـ « في أوائل القرن الرابع عشر، شكل [الإسلام] تهديدا تأتّى عنه "ذعر دائم" لدى الشعوب الأوروبية » ، حيث لم يقتصر الأمر على تزايد أعداد المسيحيين المتحولين إلى حظيرة الإسلام؛ إنما غدا الفكر الإسلامي يشكل خطرا على سلامة العقيدة المسيحية عند من بقوا على دينهم من رجال الكنيسة، إذ ظهرت هرطقات جديدة داخل الكنيسة نتيجة تأثرها بنظرة الإسلام لبعض المعتقدات المسيحية، كنظرته إلى (الله) ، لذا عمل الغرب المسيحي على تشويه رسالة الإسلام، وتقديمه في صورة

أكثر سلبية، ومعتنقوه أكثر انحرافا، وذلك كما فعل أحد الرهبان حينما أطلق تسمية (البرابرة) أو (الهمج) على جيوش المسلمين الفاتحين ، حيث تحولت الفتوحات الإسلامية الداعية لاعتناق الإسلام إلى عمليات سطو على البلاد المسيحية وتقتيل وتنكيل بالمسيحيين المسالمين، وأصبح « يرى في الشّرق مكاناً خطِراً يتنامى فيه الإسلام وتتكاثر الأجناس الشريرة » ، هذا ما جعل الأنا المسيحية تعمل على تجميع الصفات والسلوكات المنحرفة والسلبية الملفقة وتركيبها حول المسلمين، لتصويرهم في هيئة المعتدين الغاصبين، فهم يشكلون « تهديدا للعالم المسيحي الغربي قبل أن يصبحوا مشكلة بزمن طويل، فقد حدث تحول في القوى وفي الأقسام البعيدة من الشرق، وقام شعب هائج عرف بالسلب والنهب، فاجتاح وخرب أراضي واسعة، وانتزعها من قبضة المسيحية » ، هكذا صار الإسلام والشرقي المسلم مرادفا لكل ما معناه وحشية وشر وهمجية وعنف وخوف وكفر... لذا تجب محاربته، فتعاليم دينه الجديد جاءت لتلغي تعاليم المسيحية التي تحكم الإنسانية منذ قرون، ولتزيل تعاليم المسيح، وتحرم الغرب المسيحي من الامتيازات التي شرعها لنفسه باسم الرب؛ بصفته الشعب المختار لقيادة العالم وتسيير شؤونه... فلم ينظر إلى الإسلام على أنه ديانة سماوية تحمل رسالة ربانية يمكن أن تكمل رسالة المسيح؛ بل إن نكران قساوسة الكنيسة المسيحية وباباواتها لرسالة نبي الإسلام "عليه الصلاة والسلام" غذى روح الرفض في الفرد المسيحي وكرسها إلى أن بلغت درجة العداء المعلن ضد المسلم لخطره، وهو الخطر الذي تضمره "جان" للكنيسة فهي تدعو للجهاد على خلاف رجال الكنيسة وتطالب بضرورة بذل النفس لذلك، كما جاهرت بآرائها المتحدية للكنيسة المتوانية المتراخية عن واجبها المقدس في الدفاع عن الأرض. إنها "جان" التي يرفض الجميع وبخاصة القسيسون والمطارنة سماع صوتها ونداءاتها الإيمانية، التي توصف بالسحر والشعوذة، من مثل قولهم:

«إن هذه المخلوقة ليست قديسة، ولا هي امرأة محترمة». – «وإنها ساحرة من رأسها إلى أخمص قدميها».

وكأن دعوتها ومسيرتها فيها هي نفس دعوة نبي الإسلام "محمد" وكل دعاة الإيمان الحقيقيين، اللذين ترفض دعوتهم ويوصفون بالسحر والشعوذة، وهو ما يؤكده "شو" من خلال تعليقات بعض الشخصيات في المسرحية على الاتهامات الموجهة إليها، من مثل رد "ورك" النبيل الإنجليزي على "كوشون" الأسقف الفرنسي الذي كان يرى أن ما تفعله "جان دارك" هو من قبيل ما فعله النبي "محمد" حيث يقول:

هي تبعث بالكتب إلى ملك الإنجليز بأن يصدح بأمر الله الذي أوحي إليها، فيعود إلى جزيرته وإلا حاق به الله... ألا اعلموا أن إرسال هذه الكتب هكذا عادة جرى عليها قديما محمد عدو المسيح.

كما شبه الفتاة بالعربي الذي طارد المسيح والكنيسة (وهو يقصد النبي محمد) في قوله:

«بمثل هذا قام عربي جمّال فطارد المسيح وكنيسة المسيح، حتى طردها جميعا من أورشليم... فماذا فعل هذا الجمال العربي أكثر مما صنعت هذه الفتاة؟ جاءه الوحي من جبريل، وجاءها من القديسة كترينيه والقديسة مرغريت والمبارك ميخائيل، وأذن في الناس بأنه رسول الله، وكتب الكتب إلى ملوك الأرض باسم الله...»

كان هذا رأي "كوشون" الذي يمثل رأي رجال الكنيسة المسيحية في العصور الوسطى الرافضة لكل الأصوات المخالفة لتوجهها الديني، المتعصبة لآرائها، المحاربة لكل من يعلن مناقضته لها، فـ"شو" – هنا–حمل شخصية "كوشون" موقف الكنيسة من نبي الإسلام وتعاليمه، وقد أورد "العقاد" –في هذا–تعليقا لـ "شو" نفسه على المقطع حيث قال: «إن ما جاء في الرواية لم يكن رأيي أنا، بل هو رأي الكنيسة في القرون الوسطى»، وهو الرأي الذي كان سائدا في أوروبا والغرب في تلك الفترة وفي العصور الحديثة التي تلتها، حيث

«أصبح يُنظر للإسلام على أنّه إلغاءٌ للمسيحية وأنّ رسوله محمدا هو عدوٌّ للمسيح»، لذا نجد "كوشون" الشخصية الدينية تصدح به وبالدفاع عنه.

نلاحظ من خلال هذه التصريحات أن "شو" حاول أن يضمن مسرحيته بعض الأفكار عن النبي "محمد"؛ فقد جاء في المسرحية ذكر اسمه عدة مرات في معرض كلام طويل عن الأنبياء الذين يوحى إليهم، وتلقيهم الصعاب ومواجهتهم العقبات لعدم إيمان الناس بهم وبرسالتهم.

هناك سؤال يلح على قارئ (جان دارك) وهو: لمَ أدخل "شو" المسلمين ونبيهم ضمن المسرحية؟ أهو مجرد إقحام لطرح أفكاره؟ أم أنه رأى من الضروري طرح تلك الأفكار؟ أكان يمكنه تجاوزها؟ أم أنها ألحت عليه أثناء كتابته النص وفرضت نفسها بين أسطر؟

إن المتمعن في المقاطع الإيمانية لـ"جان" المسيحية يجدها دعوة لسماع صوت الحق، صوت الإيمان الصادق، صوت المحبة، صوت الجهاد في سبيل الوطن، صوت نبذ التعصب صوت التسامح الديني... وهو نفسه صوت دعوة نبي الإسلام، كيف لا وهي تماثل معالم دعوة نبي الإسلام مسارا ومراحل فكل منهما عاش:

سماع صوت الحق (جبريل / القديسة)

الاتهام بالشعوذة والسحر (الوحي الإلهي / الوحي الإلهي)

الأمية والبساطة (جمّال / راعية بقر)

الصمود في وجه العدو والمواجهة بالقتال (قريش / الإنجليز ورجال الكنيسة).

فالمسرحية تتضمن الثورة على السلطة التي يدعيها رجال الدين، وهناك فكرة التسامح الديني وهناك فكرة الجهاد في سبيل الإيمان بأمر من الوحي الإلهي، فتمرد "جان" تمرد على القيود والمبادئ التي كبلت بها الكنيسة حرية الرأي والتفكير، كيف لا و"شو" يرفض ممارسات الكنيسة وتسلطها، فقد كان من دعاة الحرية الفردية، لذا كان يكره التسلّط والسلطة مهما كان مظهرهما

ونوعهما، كما « كان يكره سلطة الكنيسة وسلطة المتدينين، كما كان يكره سلطة العلم وسلطة المتعلمين، وكان لا يرضى بذلك التقديس الذي أحاط به أهل العلم "باستير"...».

لكن هذه الومضات والتلميحات تحولت إلى مواقف وآراء صريحة في مسرحية (المليونيرة)، هذا العمل الذي حمل في طياته تميز "شو"، ليس في النظرة إلى الشرق وحسب وإنما التميز في الطرح الفني للعلاقة بين الشرق المسلم والغرب المسيحي، ذلك الطرح الذي يتجلى من خلال العلاقة التي تجمع البطلين توترا وتوافقا، فالشرق يحضر من خلال شخصية "الطبيب المصري" وآرائه ومعتقداته، ويحضر الغرب من خلال "المليونيرة الإنجليزية" وأفكارها ومعتقداتها.

وضَع "شو" الطبيب المصري (الشرقي) أمام بطلته المليونيرة (الغربية) في مواجهة صريحة بين مبادئ الشرقي الروحي وغرور الغربية المادية، لكنه في خضم ذلك الصراع أكسبه من الصفات المادية والمعنوية ما جعل منه شخصية قوية ثابتة استطاعت تخطي كل الإغراءات التي طُرحت أمامها في بلاد الغرب؛ بداية من الإيمان والجد واتزان الفكر ورجاحة العقل، والتسلح بالعلم والمعرفة والترفع عن المغريات والماديات، والترفع عن المغريات والماديات، وهي صفات كفيلة بضمان تفوق الشخصية على غيرها من الشخصيات المسرحية.

كما حرص "شو" على إظهار تلك الصفات في مشاهد عديدة من مسرحيته، وذلك منذ أول لقاء له مع المليونيرة الغربية، حيث أظهر تعاونه واستعداده لتقديم المعونة حين ظنها بحاجة إلى المساعدة بعد سماعه صراخها في سلّم البناية فأسرع بعرض مساعدته.

كما بدت إجاباته قوية أمام تساؤلات "أبيفانياEpifania " الساخرة التي صاحت بوجهه: أي شيطان أنت؟ فأجاب في ثبات: أنا طبيب مصري، وكان جوابه ينم عن ثقة كبيرة بالنفس، وهذا ما يتأكد من خلال رده على طلباتها المغرورة عندما كانت تريد تقديم خدمة لعلاجها والاهتمام

بها، ظانة أن غناها سيجعله ينصاع لأوامرها، فإذا به يجيبها في ثقة: عيادتي لعلاج اللاجئين المسلمين الفقراء مجانا. وبقوله: لكنني وهبت نفسي للفقراء والناس والنافعين على حد السواء.

فقد حدد غايته من امتهان الطب؛ حيث وهب علمه وعمله خدمة للضعفاء من الناس، لكن المرأة تزيد من استفزازة ومحاولة إرباكه بقولها: أنت مغفل أو شيوعي، ليجيبها في ثبات: أنا لست هذا ولا ذاك ولكنني خادم الله. فالمؤمنون الحقيقيون –في نظر "شو"– هدفهم الأول خدمة الله بأعمالهم الخيرة وتعاونهم مع غيرهم ومساعدتهم وقت الحاجة، فالطبيب لا يهدف إلى الشهرة ولا إلى المال إنما إلى خدمة الله عن طريق خدمة المساكين والضعفاء والفقراء.

كما ظهرت قوة شخصيته وجرأة مواقفه حين يرفض إغراءات المليونيرة ومحاولاتها المبتذلة لإغوائه (الاهتمام/ الزواج/ المال) حيث تبادره عارضة نفسها عليه:

... فأنا أريد أن تتزوجني ... ألا تريد أن تلقي عملك البغيض إلى الشيطان مرة واحدة وتمضي ليلة على شاطئ النهر مع امرأة ممتعة أخاذة.

لكنه يصدمها بجوابه الصريح قائلا: إن النساء لا أستمتع بهن ولا أؤخذ إلا حين يكُنّ مريضات، وفي هذه الحالة أعرف عنهن من الداخل ومن الخارج، وأنت الآن في حالة جيدة تماما.

فالمرأة بالنسبة إليه حالة إنسانية يتعامل معها ضمن مهمته الإنسانية بكل رعاية وأمانة، أما خارج ذلك الإطار فهو لا يهتم لها ولا يؤخذ بها ولا بمغرياتها، خاصة إن كانت من نوع "أبيفانيا" المتعالية المستهترة الجاهلة لسر الرابط الحقيقي بين المرأة والرجل، حيث يواجهها بقوله:

«... ليس عندك إحساس بالسر الغامض في الرجل، كما أنك لا تشعرين بالفارق بينك وبين الرجال، ولا تدركين قدسية الرجل بالنسبة للمرأة، بل إنك لا ترين في الرجل أكثر من ذكورته بالنسبة لجنسك».

كما لا يفوت "شو" كشف أهم مبدإ يظهر التمايز بين الشخصيتين، وهو موقف كل منهما من المادة والثروة، فهذه "أبيفانيا" المليونيرة تعلن حبها للمال:

«أنا أرستقراطية... إن أجدادي كانوا يقرضون المال لأروبا بأسرها... ونحن الآن مصرفيون في العالم كله

... إذا أردت ذلك فإنني أحكم بالمال ومن سلالة حكمت بالمال». وتؤكد في موضع آخر: «... وماذا يمكن أن أطلب غير المزيد من المال» ؟

إنه الغربي المادي الشغوف بالمال، الواهب نفسه لخدمته والحفاظ عليه، غير أن الطبيب لا يهتم للمال والأمور المادية، فهو يعي بأنهما لا يمثلان جوهر الإنسان، يقول:

«هناك أعمال أخرى فيها خير كثير يؤديها الإنسان للعالم أعظم من خيالات مرضى الثروة والغنى».

«إن هذا وباء لست أعرف كيف تنجو منه البشرية...» –«... إنني لا أعنى بالمال ولكنني أهتم بالمعرفة».

ويقول في موضع آخر ردا على المليونيرة التي عرضت نفسها للزواج:

لقد تزوجت العلم، وزوجة واحدة تكفيني... –لا تتعبي نفسك يا سيدتي فإن العلم هو عروسي.

فليس المال ما يشغله ويهمه؛ فغايته العلم والمعرفة وقد ربط وجوده بهما؛ لأنهما يمثلان جوهر الإنسانية الحقيقية، لما يمنحانها من خبرة حقيقية وبصيرة عميقة، فالغربي لا يعلم أن الحضارة العربية هي التي تربي أفرادها على نزعة «زهيدة تعلي من شأن القناعة، بقدر ما تحذر من الطمع وتحط من شأن الرغبات والأهواء، مثلها مثل ثقافات تقليدية أخرى...» وأبناء هذه الحضارة لا يتكون عندهم أي شعور بالقلق أو التوتر إزاء النقص أو محدودية ممتلكاتها

الدنيوية؛ لأنهم متشبعون من ممتلكاتها الروحية؛ فأي حضارة «تتضمن وعودا كثيرة للمؤمنين بها تظل قادرة على أن تؤمن لهم من أسباب الطمأنينة والسعادة ما لا يضمنه لهم أي تقدم تقني وأيه مكاسب مادية».

ليلخّص "شو" موقف الطبيب الشرقي من المليونيرة بعد نقاش دار بينهما حول قضايا مختلفة في قوله لها: «... هذه ثقة بالنفس إلى حد بعيد، ووقاحة طائشة، وأنانية مجنونة وانعدام في الجاذبية الجنسية بصورة واضحة».

لكنها، بالرغم من ذلك ذكية، وتمتاز بقدرة عقلية متقدة، وعالمة بالنفس، على تعبيره الطبيب الذي وصف نظرتها لبعض الأمور بالذكاء العملي.

وإذا أجرينا مقارنة بين الشخصيتين يتضح لنا التناقض البارز بين كل منها، أو بالأحرى بين قطبي الشرق والغرب المتمايزين؛ فكل من الشخصيتين تحمل صفات مخالفة للأخرى لتمثل بذلك شخصية:

* أبيفانيا الغربية: الطيش/ الأنانية/ الجنون/ الذكاء/ الاستهتار/ الغرور/ المادية.

* الطبيب الشرقي: اتزان/ الوعي/ الثبات/ الفطنة/ المسؤولية/ الثقة/ الروحية.

فبينما كانت المليونيرة مستهترة غير مبالية بالقيم الأخلاقية والروحية، منساقة وراء غرورها وثقتها الزائدة بمنصبها ومكانتها التي أكسبتها إياها أموال عائلتها الأرستقراطية؛ كان الطبيب واع بإنسانيته وأصالته وهويته وثقافته، غير متنكر لانتمائه الشرقي، هذا ما جعل المليونيرة العنيدة تتصاع له وتحاول تغيير مبادئها المادية (أن تكسب مالها بعرق جبينها وتحسن تسييره دون إسراف) في مقابل أن تحظى باهتمامه ، فقد جعلها "شو" تدرك القيمة العميقة لمبادئ الطبيب الشرقي، التي لم تستطع بلاد الغرب بمغرياتها المادية أن تحولها أو توجهها في غير وجهتها التي نشأت عليها، والتي استمدها من إيمانه العميق بخدمة الله، بل وجعلها تحاول

تبنيها وتكييفها مع منطلقاتها الفكرية (ذكائها العقلي)، طارحا بذلك فكرة جريئة حول الحوار الحضاري بين الشرق والغرب، وتكييف الواقع الغربي معها (معاملات مادية ومهنية وأخلاقية) لأنه يرى فيها نموذجا مناسبا يجمع بين العلم والمعرفة والذكاء والمادة.

إنها نظرة تفصح عن موقف تآلفي تجاه الشرقي، فبالإضافة إلى منحه مكانة مميزة في المسرحية، جعله يؤثر في شخصيتها الرئيسة الممثلة للقطب الغربي، ويحوّل نظرتها لحقيقة الواقع وعلاقاته الإنسانية، فهو لا يقوم على الماديات لوحدها؛ إنما يجمع بين الجانب المادي والمعرفي والروحي. وهذا بعدما خبر القيم الروحية لبلاد الشرق، إضافة إلى العلاقة التي تربطه بتلك البلاد وتحديدا (مصر) ، ربما هذا ما جعله يختار بطله من مصر وصاحب درجة علمية راقية (طبيب)، أي أنه تسلح بالوسائل اللازمة (العلم والمعرفة) التي تجنبه الضعف أمام الأنا الغربية فإن كان الغرب تقدم معرفيا فقد نال هذا الشرقي حظه من العلم، بل إنه انتقل إلى تلك البلاد ومارس نشاطه المهني كأي عامل غربي في بلاده، ولكنه كان محافظا على القيم النبيلة لمهنته، التي استطاع بقوة شخصيته وعنفوان روحه أن يقنع المليونيرة بأن انعدام المال لا يعني انعدام الشخصية، وأن تقبل بشروطه هو لا شروطها وتتزوجه في الأخير، فـ « بعد أن كان الغرب معتادا ولأكثر من قرنين على اعتبار الشرق مادة وموضوعا، أخذ يشعر به وللمرة الأولى كفاعل مفكر وممزق ومطالب، إنها محنة، في الواقع، محنة للغرب، منذ أن أصبح الوعي الجديد بالآخر فاعلا مفروضا عليه كردة فعل على الاستعمارية » ، و"شو" في مسرحه، على عكس الكتابات الغربية التي تصور الشرقيين على أنهم « ... لصوص وخونة ومحبوبون للمال بجشع، وأخيرا فإنهم كاملون من جميع المفاسد » ، جعل من بطله الشرقي نموذجا للإيمان والإخلاص في العمل خدمة لله، دون أن يكون ضحية للإغراءات المادية والدنيوية (المال والجمال).

خاتمة:

ختاما، يمكننا القول أن كلا من المسرحيتين تطرحان صورة للحوار الحضاري بين الشرق والغرب، ونموذجا للتزاوج الحضاري، عن طريق تزاوج (القيم الروحية والمعرفية) و(الأسس والقواعد المادية)، من خلال التآلف بين طرفي العلاقة، فالتآلف يوفر الظروف التي تتيح التواصل الحقيقي للعلاقة مع الآخر، والتلاقح الفعلي للأفكار والثقافات، عن طريق التبادل الثنائي الذي يسير في كلا الاتجاهين ويثري الطرفين، فمن خلاله –على حد رأي "باجو"–

« ينظر إلى الواقع الأجنبي، ويحكم عليه بصورة إيجابية، ويدرج ضمن الثقافة الناظرة التي تعد هي بدورها إيجابية ومكملة للثقافة المنظور إليها» ، وهذا النمط من الصورة يطرح نموذجا للحوار بين الثقافات الحضارية المختلفة ضاربا – بذلك– عرض الحائط مقولة صدام الحضارات وتباينها وتمايزها، وما يترتب عنها من الاحتفاء بطرف في مقابل إقصاء الطرف الآخر وتأكيد دونيته، « ولاشك أن التسامح يحتاج إلى نضج فكري يقوم على التأمل والتمثل لا على استيراد الأفكار والمعطيات الأجنبية، وبالتالي يحتاج إلى حوار دائم بين الذات والآخر بعيدا عن العقد النفسية (الهوس، الرهاب) »، وهو ما لمسناه في نموذج "برنارد شو"، الذي نجده يخالف ذلك الطرح النمطي المعهود وتلك القوالب الجاهزة القائمة على الرهاب، ويطرح صورة جديدة قائمة على التآلف والتسامح، حاملا من خلالها موقف احترام تجاه الآخر الشرقي وثقافته الإنسانية. وهو موقف "برنارد شو" نفسه من الشرقي وحضارته الشرقية المسلمة عامة، التي يرى فيها نموذجا للإيمان الصادق والعزيمة القوية والنظرة العميقة، وهي المبادئ التي تتغلب على قيم الحضارة الغربية وتروّضها.

المراجع المعتمدة:

1. أحمد حامد، الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط.

2. أحمد خاكي، برنارد شو تاريخ حياته الفكري، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، ط. 1967.

3. إدوارد سعيد، الاستشراق، ، تر. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط.1، 2006.

.4 أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم، تر. خلف محمد الجراد سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع.215، .

.5 برنارد شو، المليونيرة، تر. عبد المنعم شميس، الدار القومية للطباعة، مصر، 1967.

.6 برنارد شو، جان دارك، تر. أحمد زكي بك، سلسلة عيون الأدب الغربي، ع.4، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1938.

.7 توماش ماستناك، الإسلام وخلق الهوية الأوروبية، تر. بشير السباعي، دار النيل الاسكندرية، مصر، ط.1، 1995.

.8 تييري هنتش، الشرق الخيالي رؤية الآخر، صورة الشرق في المخيال الغربي الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط تر. ميّ عبد الكريم حمودة، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، ط.1، 2006.

.9 حسن شحاتة، الذات والآخر في الشرق والغرب، صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، القاهرة، ط.1، 2008.

.10 حسن شحاته، الذات والآخر في الشرق والغرب، صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، القاهرة، ط.1 2008.

.11 دانتي أليغيري، الكوميديا الإلهية، تر. جهاد كاظم، مطبعة سيكو، المدرسة العربية للدراسات والنشر، ط.2، 2000.

.12 رنا قباني، أساطير أوروبا عن الشرق، لَفّقْ تَسُدْ، تر. صباح قباني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ط.1، 1988.

.13 سعد البازعي، الاختلاف الثقافي ثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2008 .

.14 شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، تر. حسين مؤنس وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط.2 1988، ج.1.

.15 عباس محمود العقاد، برنارد شو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013.

.16 محمد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط.1، 1995.

.17 محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، 1983.

.18 محمد ياسين مظهر، الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي، تر. سمير عبد الحميد إبراهيم، رابطة الجتمعات الإسلامية، ط.1، 1988.

.19 محمود السمرة، أدباء معاصرون من الغرب، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت .

.20 معجب الزهراتي، ثقافة الصحراء في مدينة الأنوار والصور، قراءة في رواية (قطرة الذهب) لمشيل تورنييه، مجلة ألف قسم الإنجليزية والأدب المقارن، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ع.33، 2013.

.21 نبيل عاقل، المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي، الملتقى الدولي السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، من 24 جويلية إلى 31 أوت 1972م، مج.2.

22. D-H. Pageaux, La Littérature Générale et Comparée, Armand Colin Editeur, Paris, 2001.

23. G-M. Moura, Lire L'Exotisme, Ed. Dunod, Paris, 1992

24. La Chanson de Roland, Edition de Pierre Jonin, Editions Gallimard, 2005.

25. Philipe Sénac, L'image de l'autre, histoire de l'Occident médiéval face à l'Islam, Paris, Flammarion, 2000.

26. Shenfield, Les Ecrivains par L'Image -BERNARD SHAW, texte francais de M.Matignon, imp aux Pays-Bas.1967.

هو فكرة مسبقة الصنع، مؤسسة على معتقدات مبالغ فيها، تلصق بجماعة ما. فصناعته تعتمد على الأحكام القيمية العامة وغير المؤسسة التي تطلقها الأنا على الآخر. ينظر G-M. Moura, Lire L'Exotisme, Ed. Dunod, Paris, 1992, p.195

حسن شحاتة، الذات والآخر في الشرق والغرب، صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، القاهرة، ط.1، 2008، ص.ص.26،27.

أدرك الغرب أهمية الإسلام، لذلك اتخذ منه موقفا مزدزجا: ضرورة التعلم منه باعتباره الأقوى والأعلم ومحاربته لأنه عقيدة غريبة معادية. ينظر أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم، تر. خلف محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع.215، 1996 ص.67.

ملحمة تتغنى بالبطولات الخارقة لـ"رولان" ابن أخ "شارلمان (764-816) "Charlemagne إمبراطور فرنسا، وهي بطولات تجسدت في موقعه (رونسيفو) عام 778م، التي دارت رحاها بين مؤخرة

جيش "شارلمان" العائد من إسبانيا بعد فشله في الاستيلاء على مدينة (سرقسطة) الإسلامية آنذاك، وبين مجموعة من المسلمين وضعوا كمينا لمؤخرة الجيش حيث استطاع المسلمون التغلب عليها وعلى قائدها "رولاند" الذي رفض أن ينفخ في بوق الاستغاثة، وآثر أن يتولى بنفسه قتال المسلمين، وأباد منهم المئات، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة مصحوبة بنفخة ضعيفة من بوق الاستغاثة نبهت "شارلمان"، الذي عاد مسرعا لكي يثأر لابن أخيه، ويقضي على من بقي من جيوش المسلمين، ويفتح مدائنهم ويخترق حصونهم. ينظر نص الملحمة La Chanson de Roland, Edition de Pierre Jonin, Editions Gallimard, 2005.

محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، 1983، ص.333.

وضع "دانتي" الشخصية (موميتو) الممثلة لشخص نبي الإسلام وابن عمه "علي" في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة الذي يضم مثيري الصدمات والانقسامات الدينية والسياسية، فهما – حسب زعمه – مذنبان وقد تسببا في شقاق الأمة. ينظر دانتي أليغيري، الكوميديا الإلهية، تر. جهاد كاظم، مطبعة سيكو، المدرسة العربية للدراسات والنشر، ط.2، 2000، ص/ص،368/366.

محمد ياسين مظهر، الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي، تر. سمير عبد الحميد إبراهيم، رابطة الجتمعات الإسلامية، ط.1، 1988، ص.6.

توماش ماستناك، الإسلام وخلق الهوية الأوروبية، تر. بشير السباعي، دار النيل الاسكندرية، مصر ط.1، 1995، ص.16.

ينظر محمد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر ط.1، 1995، ص.16 وما بعدها.

حسن شحاته، الذات والآخر في الشرق والغرب، صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي القاهرة ط.1، 2008، ص.29 .

الكلمات الاستيهامية أو الخياليةmots fantasmes ، وهي تبنى على الدلالات المضمرة والحقول الدلالية الوايعة، وفي هذه الحالة لا تخدم الكلمة فقط التواصل اللغوي لكن أيضاً فعل الحلم والتواصل الرمزي، فهي متعددة الدلالة، ومتنامية المعنى، تحتاج إلى تعمق في التحليل، ومعرفة مسبقة عن

المرجعيات الثقافية والعقليات السائدة في المجتمع المنتج لها. مثل ذلك الكلمات التالية – Harem) حريم (و – Odalisque)جارية الحريم (و – Desert)صحراء (التي تدعى آثارها بصورة عامة (إثارية)، التي تساعد على تشكيل فضاء شرقي (الشرق الذي اخترعه الغرب). ينظر .D-H Pageaux، La Littérature Générale et Comparée, Armand Colin Editeur, Paris, 2001, p.p.66.67.

اعتمد في ذلك على المؤلفات العلمية والأدبية الرائجة في عصره نحو (حياة محمد) لـ "كونت دي بولينفيلي، و(سيرة محمد) لـ"جان غرينبه"، دون العودة إلى الحقائق والوقائع التاريخية.

ينظر سعد البازعي، الاختلاف الثقافي ثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط.1، 2008، ص.138 .

D-H. Pageaux, La Littérature Générale et Comparée, p.71.

التسامح La philie يتم التصالح فيه مع الآخر والتعايش معه جنبا إلى جنب.

D-H. Pageaux, La Littérature Générale et Comparée, p.72.

مؤلف مسرحي وناقد اجتماعي (1856-1950م)، ولد بدبلن عاصمة إيرلندا، رحل عام 1876م إلى بريطانيا – مركز الحياة الفكرية – ليشق طريقا جديدا في تكوين ثقافته الفكرية والأدبية، حيث أصبح قائد الدرامة الإنجليزية في الثمانينات من (ق19م) بمسرحياته التي تناقش قضايا اجتماعية وواقعية حساسة، من أشهر مسرحياته: الأسلحة والإنسان Arms and the Man ، الإنسان والسوبارمان Man and Superman، وبيغماليون Pygmalion التي حازت على جائزة نوبل في الأدب عام 1925م. ينظر Margaret Shenfield, Les Ecrivains par L'Image -BERNARD SHAW, texte francais de M.Matignon, imp aux Pays-Bas.1967.

أحمد خاكي، برنارد شو تاريخ حياته الفكري، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، ط. 1967، ص.346.

المرجع نفسه، ص.31.

المرجع نفسه، ص.32.

المرجع نفسه، ص.33.

المرجع نفسه، ص.32 .

ينظر أحمد حامد، الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، ص. 14.

المرجع نفسه، ص.13.

أحمد خاكي، برنارد شو تاريخ حياته الفكري، ص.381.

شخصية وطنية في التاريخ الفرنسي (1412– 30 مايو 1431) ، الملقبة بعذراء أورليان Pucelle d'Orléans La، ادّعت "جان دارك" الإلهام الإلهي، وقادت الجيش الفرنسي إلى عدة انتصارات مهمّة خلال حرب المائة عام، ممهدةً بذلك الطريق لتتويج شارل السابع ملكاً على البلاد. قُبض عليها بعد ذلك وأُرسلت إلى الإنجليز مقابل المال، وحوكمت بتهمة "العصيان والزندقة"، ثم أُعدمت حرقاً بتهمة الهرطقة عندما كانت تبلغ 19 عاماً. أذن البابا كاليستوس الثالث بعد خمس وعشرين بإعادة النظر في محاكمتها من قِبل لجنة مختصة، التي قضت ببراءتها من التهم التي وُجّهت إليها وأعلنتها بناءً على ذلك شهيدة. تم تطويب جان دارك عام 1909، أعقب ذلك إعلانها قديسة في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية عام 1920.

ينظر محمود السمرة، أدباء معاصرون من الغرب، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت ص.ص.168،167.

برنارد شو، جان دارك، تر. أحمد زكي بك، سلسلة عيون الأدب الغربي، ع.4، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1938، ص.16.

المسرحية، ص.7.

المسرحية، ص.19.

المسرحية، ص.29.

المسرحية، ص 5 .

المسرحية، ص.24.

المسرحية، ص. 60،61.

المسرحية، ص.ص.68،69.

المسرحية.

ينظر المسرحية المنظر الرابع من الصفحة 91 وما بعدها.

إدوارد سعيد، الاستشراق، تر. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط.1، 2006، ص.59.

ينظر نبيل عاقل، المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي، الملتقى الدولي السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، من 24 جويلية إلى 31 أوت 1972م، مج.2، ص.195.

Philipe Sénac, L'image de l'autre, histoire de l'Occident médiéval face à l'Islam, Paris, Flammarion, 2000, p.25.

هو فكرة مسبقة الصنع، مؤسسة على معتقدات مبالغ فيها، تلصق بجماعة ما. فصناعته تعتمد على الأحكام القيمية العامة وغير المؤسسة التي تطلقها الأنا على الآخر. ينظر G-M. Moura, Lire L'Exotisme, Ed. Dunod, Paris, 1992, p.195

حسن شحاتة، الذات والآخر في الشرق والغرب، صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي القاهرة ط.1، 2008، ص.ص.26،27.

أدرك الغرب أهمية الإسلام، لذلك اتخذ منه موقفا مزدزجا: ضرورة التعلم منه باعتباره الأقوى والأعلم ومحاربته لأنه عقيدة غريبة معادية. ينظر أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم، تر. خلف محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع.215، 1996 ص.67.

ملحمة تتغنى بالبطولات الخارقة لـ"رولان" ابن أخ "شارلمان (764-816) "Charlemagne إمبراطور فرنسا، وهي بطولات تجسدت في موقعه (رونسيفو) عام 778م، التي دارت رحاها بين مؤخرة جيش "شارلمان" العائد من إسبانيا بعد فشله في الاستيلاء على مدينة (سرقسطة) الإسلامية آنذاك، وبين مجموعة من المسلمين وضعوا كمينا لمؤخرة الجيش حيث استطاع المسلمون التغلب عليها وعلى قائدها

"رولاند" الذي رفض أن ينفخ في بوق الاستغاثة، وآثر أن يتولى بنفسه قتال المسلمين، وأباد منهم المئات، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة مصحوبة بنفخة ضعيفة من بوق الاستغاثة نبهت "شارلمان"، الذي عاد مسرعا لكي يثأر لابن أخيه، ويقضي على من بقي من جيوش المسلمين، ويفتح مدائنهم ويخترق حصونهم. ينظر نص الملحمة La Chanson de Roland, Edition de Pierre Jonin, Editions Gallimard, 2005.

محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، 1983، ص.333.

وضع "دانتي" الشخصية (موميتو) الممثلة لشخص نبي الإسلام وابن عمه "علي" في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة الذي يضم مثيري الصدمات والانقسامات الدينية والسياسية، فهما – حسب زعمه – مذنبان وقد تسببا في شقاق الأمة. ينظر دانتي أليغيري، الكوميديا الإلهية، تر. جهاد كاظم، مطبعة سيكو، المدرسة العربية للدراسات والنشر، ط.2، 2000، ص/ص،368/366.

محمد ياسين مظهر، الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي، تر. سمير عبد الحميد إبراهيم، رابطة الجتمعات الإسلامية، ط.1، 1988، ص.6.

توماش ماستناك، الإسلام وخلق الهوية الأوروبية، تر. بشير السباعي، دار النيل الاسكندرية، مصر ط.1، 1995، ص.16.

ينظر محمد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر ط.1، 1995، ص.16 وما بعدها.

حسن شحاته، الذات والآخر في الشرق والغرب، صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي القاهرة ط.1، 2008، ص.29 .

الكلمات الاستيهامية أو الخياليةmots fantasmes ، وهي تبنى على الدلالات المضمرة والحقول الدلالية الوايعة، وفي هذه الحالة لا تخدم الكلمة فقط التواصل اللغـوي لكن أيضاً فعل الحلم والتواصل الرمزي، فهي متعددة الدلالة، ومتنامية المعنى، تحتاج إلى تعمق في التحليل، ومعرفة مسبقة عن المرجعيات الثقافية والعقليات السائدة في المجتمع المنتج لها. مثل ذلك الكلمات التالية – Harem) حريم (و – Odalisque)جارية الحريم (و – Desert)صحراء (التي تدعى آثارها بصورة عامة

(إثارية)، التي تساعد على تشكيل فضاء شرقي (الشرق الذي اخترعه الغرب). ينظر .D-H Pageaux،Paris, ، La Littérature Générale et Comparée, Armand Colin Editeur 2001, p.p.66.67.

اعتمد في ذلك على المؤلفات العلمية والأدبية الرائجة في عصره نحو (حياة محمد) لـ "كونت دي بولينفيلي، و(سيرة محمد) لـ"جان غرينبه"، دون العودة إلى الحقائق والوقائع التاريخية.

ينظر سعد البازعي، الاختلاف الثقافي ثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط.1، 2008، ص.138 .

D-H. Pageaux, La Littérature Générale et Comparée, p.71.

التسامح La philie يتم التصالح فيه مع الآخر والتعايش معه جنبا إلى جنب.

D-H. Pageaux, La Littérature Générale et Comparée, p.72.

مؤلف مسرحي وناقد اجتماعي (1856-1950م)، ولد بدبلن عاصمة إيرلندا، رحل عام 1876م إلى بريطانيا – مركز الحياة الفكرية – ليشق طريقا جديدا في تكوين ثقافته الفكرية والأدبية، حيث أصبح قائد الدرامة الإنجليزية في الثمانينات من (ق19م) بمسرحياته التي تناقش قضايا اجتماعية وواقعية حساسة من أشهر مسرحياته: الأسلحة والإنسان Arms and the Man ، الإنسان والسوبارمان Man and Superman، وبيغماليون Pygmalion التي حازت على جائزة نوبل في الأدب عام 1925م. ينظر Margaret Shenfield, Les Ecrivains par L'Image -BERNARD SHAW, texte francais de M.Matignon, imp aux Pays-Bas.1967.

الهوامش:

أحمد خاكي، برنارد شو تاريخ حياته الفكري، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، ط. 1967، ص.346.

المرجع نفسه، ص.31.

المرجع نفسه، ص.32.

المرجع نفسه، ص.33.

المرجع نفسه، ص.32 .

ينظر أحمد حامد، الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، ص. 14.

المرجع نفسه، ص.13.

أحمد خاكي، برنارد شو تاريخ حياته الفكري، ص.381.

شخصية وطنية في التاريخ الفرنسي (1412– 30 مايو 1431) ، الملقبة بعذراء أورليانLa Pucelle d'Orléans ، ادّعت "جان دارك" الإلهام الإلهي، وقادت الجيش الفرنسي إلى عدة انتصارات مهمّة خلال حرب المائة عام، ممهدةً بذلك الطريق لتتويج شارل السابع ملكاً على البلاد. قُبض عليها بعد ذلك وأُرسلت إلى الإنجليز مقابل المال، وحوكمت بتهمة "العصيان والزندقة"، ثم أُعدمت حرقاً بتهمة الهرطقة عندما كانت تبلغ 19 عاماً. أذن البابا كاليستوس الثالث بعد خمس وعشرين بإعادة النظر في محاكمتها من قِبل لجنة مختصة، التي قضت ببراءتها من التهم التي وُجّهت إليها وأعلنتها بناءً على ذلك شهيدة. تم تطويب جان دارك عام 1909، أعقب ذلك إعلانها قديسة في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية عام 1920.

ينظر محمود السمرة، أدباء معاصرون من الغرب، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان،د.ت، ص.ص.168،167.

برنارد شو، جان دارك، تر. أحمد زكي بك، سلسلة عيون الأدب الغربي، ع.4، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1938، ص.16.

المسرحية، ص.7.

المسرحية، ص.19.

المسرحية، ص.29.

المسرحية، ص.52 .

المسرحية، ص.24.

المسرحية، ص.ص. 60،61.

المسرحية، ص.ص.68،69.

المسرحية، ص.

ينظر المسرحية المنظر الرابع من الصفحة 91 وما بعدها.

إدوارد سعيد، الاستشراق، ، تر. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط.1، 2006، ص.59.

ينظر نبيل عاقل، المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي، الملتقى الدولي السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، من 24 جويلية إلى 31 أوت 1972م، مج.2، ص.195.

Philipe Sénac, L'image de l'autre, histoire de l'Occident médiéval face à l'Islam, Paris, Flammarion, 2000, p.25.

رنا قباني، أساطير أوروبا عن الشرق، لَفَقْ تَسُدْ، تر. صباح قباني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط.1 1988 ص.36 .

شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، تر. حسين مؤنس وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط.2، 1988 ج.1، ص.27.

المسرحية، ص.39.

المسرحية، ص.85.

المسرحية، ص.93.

المسرحية، ص.94،95.

أثير جدل حول تدريس المسرحية في الجامعة المصرية بين (1928/1927)، بسبب هذا المقطع الذي ذكر فيه النبي "محمد"، من قبل الذين سمعوا بالمسرحية ولم يقرؤوا نصها بتمحص. ينظر تفاصيل الحادثة في عباس محمود العقاد، برنارد شو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013، ص.ص.87،88.

عباس محمود العقاد، برنارد شو، ص.88.

رنا قباني، أساطير أوروبا عن الشرق، لَفَقْ تَسُدْ، ص.19 .

أحمد خاكي، برنارد شو تاريخ حياته الفكري، ص.336.

ينظر برنارد شو، المليونيرة، تر. عبد المنعم شميس، الدار القومية للطباعة، مصر، 1967، ص.105.

ينظر المسرحية، ص.105.

ينظر المسرحية، الصفحة نفسها.

ينظر المسرحية، ص.107.

ينظر المسرحية، ص.108.

ينظر المسرحية، الصفحة نفسها.

ينظر المسرحية، ص.117.

ينظر المسرحية، ص.112.

المسرحية، ص.114.

المسرحية، ص.ص. 109،110.

المسرحية، ص.115.

المسرحية، ص.110.

المسرحية، الصفحة نفسها.

المسرحية، ص.117.

ينظر المسرحية، الصفحة نفسها.

معجب الزهراتي، ثقافة الصحراء في مدينة الأنوار والصور، قراءة في رواية (قطرة الذهب) لمشيل تورنييه، مجلة ألف، قسم الإنجليزية والأدب المقارن، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ع.33، 2013، ص.103.

المرجع نفسه، الصفحة نفسها. ونذكر هنا كل من "وليام ووردزورث "W. Wordsworth و"غوته "Goethe و"بول فاليري P. Valéry"وغيرهم ممن استفاضوا في الحديث عن روحانية الحضارة العربية الإسلامية.

المسرحية، ص.113.

ينظر المسرحية، ص.115.

ينظر المسرحية، ص.118 وما بعدا.

نقصد هنا موقف "شو" من حادث دنشواي الشهير الذي وقع 1906، حيث ساند فيه الفرد المصري في مقابل انتقاده أفراد الجيش الإنجليزي. ينظر التفاصيل في عباس محمود العقاد، برنارد شو، ص.85 وما بعدها.

تييري هنتش، الشرق الخيالي رؤية الآخر، صورة الشرق في المخيال الغربي الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط، تر. ميّ عبد الكريم حمودة، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، ط.1، 2006، ص.ص.112،111.

المرجع نفسه، ص.182.

D-H. Pageaux, La Littérature Générale et Comparée, p.72.

المرجع نفسه، الصفحة نفسها.